[244] كنت القائم بها بعد أبي، فوا ما أدخلني مع الستة من أصحاب الشورى، إلا أن الخلافة ليست شرطا مشروطا، وإنما هي في قريش خاصة، لمن كان لها أهلا، ممن ارتضاه المسلمون لأنفسهم، من كان أتقى وأرضى، فإن كنت تريد الفتيان من قريش، فلعمري إن يزيد من فتيانها، واعلم أنه لا يغني عنك من ا شيئا. فتكلم معاوية فقال: قد قلت وقلتم، وإنه قد ذهبت الآباء وبقيت الأبناء، فابني أحب إلي من أبنائهم، مع أن ابني إن قاولتموه وجد مقالا، وإنما كان هذا الأمر لبني عبد مناف، لأنهم أهل رسول ا صلى ا عليه وسلم فلما مضى رسول ا صلى ا عليه وسلم ولى الناس أبا بكر وعمر، من غير معدن الملك والخلافة، غير أنهما سارا بسيرة جميلة، ثم رجع الملك إلى بني عبد مناف، فلا يزال فيهم إلى يوم القيامة، وقد أخرجك ا يا ابن الزبير وأنت يا ابن عمر منها، فأما ابنا عمي هذان فليسا بخارجين من الرأي إن شاء ا. ثم أمر بالرحلة وأعرض عن ذكر البيعة ليزيد، ولم يقطع عنهم شيئا من صلاتهم وأعطياتهم، ثم انصرف راجعا إلى الشام، وسكت عن البيعة، فلم يعرض لها إلى سنة إحدى وخمسين. الإمامة والسياسة 1: 142 - 144، جمهرة الخطب 2: 233 - 236. قال الأميني: لم يذكر في هذا اللفظ ما تكلم به عبد الرحمن، ذكره ابن حجر في الإصابة 2: 408 قال: خطب معاوية فدعا الناس إلى بيعة يزيد، فكلمه الحسين ابن علي، وابن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر، فقال له عبد الرحمن: أهرقلية ؟ كلما مات قيصر كان قيصر مكانه، لا نفعل وا أبدا. صورة أخرى من محاورة الرحلة الأولى قدم معاوية المدينة حاجا (1) فلما أن دنى من المدينة خرج إليه الناس يتلقونه ما بين راكب وماش، وخرج النساء والصبيان، فلقيه الناس على حال طاقتهم وما تسارعوا به في القوت والقرب، فلان لمن كافحه، وفاوض العامة بمحادثته، وتألفهم جهده مقاربة

---

(1) من المتسالم عليه أن معاوية حج في سنة خمسين.